

الثأر من الأعداء عن طريق الرياضة

2016-03-16 حيدر الجراح

يستغرب كثيرون من مواقف الجماهير العراقية في احتفالاتها بالفوز على أحد المنتخبات في كرة القدم، فهي احتفالات لا تقتصر على المسيرات او ابواق السيارات، بل تمتد لتشمل اطلاق العيارات النارية بكثافة، كثيرا ما تخلف ضحايا من الناس الأبرياء.

لا اريد في هذه السطور اصدار حكم قيمي او أخلاقي عن طبيعة هذه الاحتفالات، أحاول تقديم مقارنة تحليلية لها، من خلال بعض المواقف في رياضات أخرى لشعوب ومجتمعات لها مواقف معينة تجاه رياضات تجمعها بأعداء تاريخيين، مجاورين او مستعمرين في فترات سابقة.

والتعبير عن هذا الفرح وطرقه واساليبه، اختلف كثيرا خلال ثلاثة عقود او اكثر، تبعا لقوة النظام السياسي الذي حكم العراق طيلة هذه العقود (لا اقصد بالقوة هنا مجالها الطبيعي، حكم القانون او المؤسسات).. كان الفوز على فرق مثل الكويت او السعودية او قطر في بطولات الخليج العربي له مذاق خاص لدى الجماهير العراقية، وكذلك الحال على المنتخبات الإيرانية في البطولات الآسيوية.. وكثير من هذه الانتصارات لازالت ندية في الذاكرة.

بالمقابل نادرا ما تسترجع الذاكرة الجماهيرية الرياضية الفوز على منتخبات آسيوية أخرى، او حتى اوروبية على ندرتها، ويعود ذلك برأي الكاتب الى الكثير من الشحن الأيديولوجي، سواء في عهد صدام حسين او بعد العام 2003، واقصد بالشحن الأيديولوجي هنا، السياسي والديني، بصبغة قومية او طائفية.

لا تقتصر مثل هذه المواقف من قبل الجمهور على العراق، بل هي أيضا تشمل الكثير من الدول، فمباريات ايران مع أمريكا مثلا، تأخذ اهتماما يتعدى التغطية الرياضية للحدث، ليمتد الى السياسة أيضا، ويدخل مثل هذا اللقاء في مجالات التحليل السياسي للكثير من وسائل الاعلام، وأيضا لقاءات فرنسا وبريطانيا الكروية التي تعيد الى الذاكرة احداثا ووقائع سياسية بين البلدين.. ولا ننسى أيضا

ذكر العديد من اللقاءات الكروية بين دول أمريكا اللاتينية وابعادها في الصراعات السياسية، وكذلك دول افريقيا الشمالية في لقاءاتها مع المنتخبات الإيطالية او الفرنسية.

كنت اظن ان مثل هذا الخلفيات تنطبق على الدول التي ذكرتها سابقا، الا ان مشاهدة الفلم الصيني عن مغامرة بثقافات تتمتع والتي الاسيوية الدول تلك حتى ان يكشف الثلاثة بأجزائه (ip man) ثقافات بقية الدول العربية والأوربية والأمريكية، لها نفس الحظوظ من استرجاع التاريخ والوقائع السياسية في ما بينها في لقاءاتها الرياضية.

الفيلم الصيني، وهو الذي صدرت اجزاؤه في الأعوام 2008، و2010، و2015، على التوالي

يروى الفيلم تاريخ حياة مدرب فنون القتال آيب مان الذي كان يدرب أسلوب (وينغ شون)، والذي من بين تلاميذ هذا الرجل النجم الأكثر شهرة بروس لي.

يغطي الجزء الأول من الفيلم، حياة هذا المدرب في بلدته الصينية، الا ان الثيمة الأساسية لهذا الجزء والرسالة التي أراد ايصالها الى المشاهد، هي سنوات الاحتلال الياباني للصين بين الأعوام (1939 - 1945) وما عاناه المواطن الصيني تحت ظل هذا الاحتلال، وطرق المقاومة، وتصنيفات الخيانة، والاذلال والكرامة، الى غير ذلك من مضامين تثير التعاطف مع هذا المدرب لما يتمتع به من شخصية هادئة وصبورة وحكيمة، تعكس واقع المرجعيات الفكرية التي يؤمن بها، وكذلك واقع الأفكار التي يطرحها أسلوبه القتالي.. البعيد عن التفاخر والاستهانة بالخصم او العدو.

ينتهي الجزء الأول من الفيلم بتغلب هذا المقاتل على الجنرال الياباني أمر قوة الاحتلال في بلدته، والذي كان أيضا يهوى الفنون القتالية ويمارسها، لتشكل لحظة انتصار المقاتل الصيني ومحاولة اغتياله، نقطة فاصلة في اشعال الثورة ضد اليابانيين في تلك البلدة.

الجزء الثاني، والذي رافق حياة المقاتل الصيني في هجرته الى هونغ كونغ، وهي المدينة الصينية التي كانت تستأجرها بريطانيا لمدة 99 عاما، يتابع هذا الجزء التعالي الاستعماري وعقدة التفوق للبريطانيين تجاه الشعوب الأخرى وثقافتها، من خلال ملاكم بريطاني يسخر من الفنون القتالية

الصفنففة؁ ومن بعض الطقوس التي يقوم بها المقاتلون الصففففون فف رفاضاتهم القتالفة؁ لففففهف هفا الففء أفضا بففلب المقاتل الصففف على الملاكم البرفففانف؁ مع الدعوة الى احترام الاختلافات بفن الناس؁ فلا فرق بفن افا واخر.. الففء الثالث ففابع صعود شفصفه هفا المقاتل والذف اصبف رمزا صفففا وطفنفا؁ وهفء المرة فصبف الفصفم ملاكما أمرفكفا فرفء الاستفواذ على كل شفف؁ وافتلال المسافات التي توفر له المففء من الأموال دون النظر الى مصالح الاخرفن؁ وهو ما ففكس النظره الأمريكية للافتكار والاستفواذ على مجمل النشاط الاقتصادي والتفارف؁ الا ان الفلم فف هفا الففء فقدم نفاهة أفرى لهفا الصراع على العكس من الففئفن السابقفن؁ فالمواجهه التي فجمع بفن المقاتل الصففف والملاكم الأمريكي لا فففهف بففلب افاهما على الاخر؁ بل فففهف بالففادل بعء قتال من ثلاث دقائق؁ وكان ما فرفء الفلم فوففله من رسالة هو ان الصففن وامرفكا فمكن لهما ان ففشركا فف المنافع والامفيازات اذا افترم كل منهما قوة الاخر؁ فلا فمكن ان فكون بفنهما غالب او مغلوب؁ لفساوي قوففهما رغم اختلاف الأسالفف والوسائل التي فعبرف عنها هفا القوة.

الفلم بافزائه الثلاثة؁ أراد أفضا ففصال رسالة الى المشاهء؁ هف ان الرفاضه فمكن لها ان ففقق الثأر من العءو؁ فففء بعض الفوازن الى الروح او الهوفه الوطنفة المجروحة؁ على ان فحافظ تلك الرفاضه على اخلاففاتها؁ وان لا فكون الثأر هو المرفك الرففسف لمحاولة الففلب على العءو.